

الإذاعة المشرقية

من حصاد الأيام

الاثنين ٢٤ نوفمبر ٢٠٠٢

يستضيف اليوم بمناسبة ذكرى استقلال لبنان

الدكتور غسان منصور

وكتب تحت عنوان: دفاعاً عن وجود لبنان وسيادته واستقلاله

بعد ان اصبحت المناداة باستعادة السيادة تهمة خطيرة يعاقب عليها القانون، وبعد ان تحولت المطالبة بحماية الاستقلال والذود عن الحريات والكرامات جريمة شنعاء لا تغتفر، وبعد ان جعلوا من الحلم الجميل ببناء دولة حقيقية في وطن ازلي موحد لكل ابناؤه كابوساً مخيفاً تتساوى فيه العمالة والخيانة مع الشهامة والشرف، ويتعادل في قاموسه الولاء للوطن والايامن بكيانه وشعبه والتمسك بوجوده ومصيره مع الاستعداد لبيعه والمتاجرة بارضه والتأمر على مستقبله وتدمير مقوماته ومركزاته، بعد كل ذلك لا يعود هناك الكثير مما يمكن قوله في الحالة المزرية، بل والشائنة والشاذة، التي وصل اليها لبنان في ظل دولة اللادولة، ونظام اللانظام، واجهزة القهر والتسلط والاحباط، وفي عهد اللامؤسسات واللاقانون، وفي زمن القضاء على القضاء، والدوس على الدستور، ومحو الكيان والوطن، وازالة لبنان من الوجود.

نعم، وبكل صدق وبساطة وصراحة، فان الهدف مما يجري في لبنان اليوم، وما سيجري خلال الفترة القادمة باشكال وصور ستكون على الأرجح اكثر وضوحاً وشفافية، لا يغدو كونه محاولة منهجية ومدروسة من اجل محو هذا البلد وازالته من الوجود جملة وتفصيلاً. وهذا الهدف هو بعينه ذلك الذي سعت الى تحقيقه احداث السنوات المنصرمة بكل ما شهدته من خطوات دؤوبة واجراءات متلاحقة وتدابير معروفة صببت جميعها في خدمة السعي الذي لم يتوقف، ولو لحظة واحدة، بغية تحطيم اواصر المجتمع اللبناني، وتغيير طابعه، وتدمير مقوماته، وافراغه من محتواه، وتخريب ركائزه ومؤسساته، وتهجير طاقاته وكفاءاته، وافقار ابناؤه، وطحن تطلعاته وطموحاته، وقهر شعبه، واذلال قياداته وزعاماته، وافشال اي محاولة جادة لاعادة بناء دولته، والحؤول دون اي جهد حقيقي لتكريس وحدته وارساء قواعد وجوده ومستقبله.

هذا السعي لم يتوقف فهو مستمر ومتصاعد ومتسارع. وما يشهده لبنان هذه الايام يشكل الدليل الدامغ والبرهان القاطع على صحة التخوفات والتحذيرات التي حرص الكثيرون من الشرفاء والغيارى، طوال السنوات الفائتة، على اطلاقها وترديدها مراراً وتكراراً، معربين فيها عن قلقهم وخشيتهم من مسار الاحداث ومما تخبئها الايام القادمة.

ولقد اثبتت الايام والاحداث حقاً ان تلك التخوفات والتحذيرات كانت في محلها. فأى دولة هذه، واي نظام هذا، واي مؤسسات وقوانين ومسؤوليات وطنية ودستورية وحقوق سياسية وانسانية تلك التي يتحدثون عنها؟ وهل يوجد هناك في العالم اجمع بلد تعتبر فيه السلطات القائمة المناداة بالسيادة تهمة، والمطالبة بالحرية والاستقلال جريمة،

والدعوة الى حماية الوطن وتحرير ارضه والدفاع عن كرامته خيانة؟ وهل يُعقل ان يتحول القضاء الى اداة طبيعة في ايدي الاجهزة، وان تستقيل السلطة السياسية من واجباتها ومسئولياتها، وان يتولى الحكم في البلد جهابذة الامن وازلام المخابرات واصحاب الدسائس والفتنة والمؤامرات؟ وبعد ذلك كله، يتحدثون عن الاخلال بالامن، ويهددون بفتح ملفات المخابرات، ويلفقون القصص والروايات والاثهومات، ويزعمون انهم يعملون من اجل مصلحة البلاد وخير العباد، ثم يعتبرون، وبكل وقاحة، ان حب الوطن والغيرة على استقلاله وحرية، والرغبة في استرجاع سيادته وكرامته، جريمة وخطيئة ورذيلة؟

كلا وألف كلا... فهم الذين تخلوا عن الوطن، وباعوا سيادته، وتاجروا باستقلاله، وتلاعبوا بمصيره، ودمروا مؤسساته، وسحقوا ابنائه، واستباحوا حدوده وارضه، ووضعوا قراره في ايدي الآخرين، وجعلوه مشاعاً للمحتلين، ومرتباً لشذاذ الآفاق والمجرمين والمهربين والارهابيين. وهم الذين جعلوا من الولاء للوطن تهمة، ومن التبعية للاحتلال والهيمنة مصدراً للفخر والاعتزاز. وهم الذين يقولون الآن، وبالفم الملآن، ان حب لبنان جريمة، وان التمسك بالوجود السوري في لبنان، وبالسيطرة السورية على مقدرات لبنان، وبالتحكم السوري بكل شاردة وواردة وصغيرة وكبيرة في لبنان، هو اسمى درجات الوطنية وارقى مستويات الشعور بالمسؤولية.

ويعرف الجميع ان المسألة تتعدى اسكات الاصوات المعارضة، وتتجاوز التلهي بتوزيع التهم الرخيصة والمموجة حول التعامل مع اسرائيل. فهذه ليس اكثر من الاعيب صغيرة واساليب قديمة مملعة، اعتاد عليها اللبنانيون وسئموا منها، لان الجميع يعرفون ايضاً من هم المتعاملون، ومن هم المتاجرون، ومن هم المتواطئون والمتأمرون. فلقد بلغ السيل الزبى، ولم يعد هناك ما يمكن ان يبرر ما يحدث، في زمن اصبح فيه وجود لبنان وكيانه في مهب الرياح العاتية الآتية من عاصمة الامويين. ولا يكفي ان تحاول بعض الاوساط المتبقيّة من ركام الدولة اللبنانية ان تقنع العالم بأنها اصبحت اهلاً بالدعم والمساندة، وموضعاً للنقّة والاطمئنان، وان تسعى للحصول على المساعدات المالية والاستثمارات الاقتصادية في مؤتمر «باريس - ٢»، في وقت لم تعد هذه الدولة قادرة فيه على اقناع نفسها ومواطنيها بأنها لا تزال موجودة، ناهيك عن انها لا تزال قادرة وفاعلة ومؤثرة.

وقبل «باريس - ٢» وبعده، لن يكون هناك من شعار يمكن ان يرفع الا شعار تحرير لبنان واستعادة سيادته وضمّان استقلاله. فليُرفع هذا الشعار، وليتلف جميع اللبنانيين واحدين موحدين حوله، دفاعاً عن وجود لبنان وصوتاً لكيانه ومستقبله.